

أثر كورونا في تقوية الحسّ الإنسانيّ قصيدة "الوباء الخفيّ"

لعبد الباري بن حمّاد الأنصاريّ أنموذجاً "دراسة وسائل الإقناع"

The Effect of Coronavirus on Strengthening the Human Sense: "The Hidden Epidemic" a Poem by Abdul Bari bin Hammad Al-Ansari as a Model "Studying the Tools of Persuasion"

أ.د/ مصطفى فاروق عبد العليم محمود

mtafa34@yahoo.com

جامعة الأزهر – مصر

ملخص:

تتناول هذه الدراسة (أثر كورونا في تقوية الحسّ الإنسانيّ قصيدة "الوباء الخفيّ" لعبد الباري بن حمّاد الأنصاريّ أنموذجاً "دراسة في وسائل الإقناع")، وقد ركّزت هذه الدراسة على وسائل الإقناع التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته، وتُمثّل هذه القصيدة أنموذجاً ناضجاً يسمح بالاقتراب من قائله. إذ بدت آثار جائحة كورونا جليّة مؤثرة في تنمية حسّ الشاعر في قصيدته؛ فبلغاً الشاعر إلى ربه، ويدعو قومه إلى الإنابة إلى ربهم، والتوبة، ويحثهم على التوكّل على الله من غير تواكل. وهدفنا من هذه الدراسة أن نسهم في بلورة رؤية إنسانية بتأثير هذه الجائحة على النفس الإنسانيّة، نحاول الكشف – من خلالها – عن أثر كورونا في تنمية الحسّ الإنسانيّ؛ إذ نجعل النقد الأدبيّ يؤدي دوره في هذا الكشف للنصّ الشعريّ فترة جائحة كورونا، كما حاولنا استنطاق القصيدة بما أرادته من تنمية الحسّ الإنسانيّ لدى المتلقي، وقد توصّلنا عبّر هذه الدراسة إلى أنّ جائحة كورونا تمّت الحسّ الإبداعيّ لدى الشعراء، كما وجدنا عالميّة الخطاب في إبراز الضعف الإنسانيّ، أمام هذا الفيروس الخفيّ، وأنّ الحِجَاج في قصيدة (الوباء الخفيّ) هو التواصل؛ بغية الإقناع، وقد ارتبطت القصيدة بالعزلة الاجتماعيّة.

الكلمات المفتاحية: كورونا، الحِجَاج، وسائل الإقناع، الأفعال اللغوية، المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract:

This study deals with (the effect of Corona on strengthening the human sense of the poem "The Hidden Epidemic" by Abdul-Bari Bin Hammad Al-Ansari as a model "A Study in Means of Persuasion"). Who said it. The effects of the Corona pandemic clearly influenced the development of the poet's sense

in his poem. So the poet turns to his Lord, and calls his people to delegate to their Lord and repent, and urges them to trust in God without dependence. Our aim of this study is to contribute to crystallizing a human vision of the impact of this pandemic on the human soul, and we try to reveal - through it - the impact of Corona on developing the human sense. As we make literary criticism play its role in this disclosure of the poetic text during the Corona pandemic period, we also tried to interrogate the poem with what it wanted to develop the human sense of the recipient, and through this study we have come to the conclusion that the Corona pandemic has grown the creative sense of poets, and we have found the universality of discourse in highlighting weakness. The humanitarian, in front of this hidden virus, and that the arguments in the poem (The Hidden Epidemic) is communication; In order to persuade. The poem is associated with social isolation.

Key words: Corona, Argumentation, Means of persuasion, Linguistic verbs, Descriptive analytical method.

المقدمة

نظرية الحجاج من أبرز النظريات التي تهتم بما التداولية؛ وقد أسست هذه النظرية اللغوية على يد اللغوي (أزفالد) سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة وألف، وغاية هذه النظرية أنّ اللغة تملك وظيفة حجاجية. والحجاجية ظاهرة ملازمة لنتاج الخطاب، فلا يكاد يخلو خطاب من الحجاج؛ لما له من دور في التواصل بين المخاطب، والمخاطب.

في هذا الإطار سنتناول هذه الدراسة الحجاج في قصيدة (الوباء الخفي) لعبد الباري بن حماد الأنصاري نموذجاً؛ دراسة حجاجية، هذه القصيدة المختارة للدراسة هي نص حجاجي بامتياز، من خلال تناول الشاعر فاجعة كورونا والرد على الذين توقع منهم رفضهم لفكره تجاه هذه الجائحة، من ثمّ كان اختياري لهذا الموضوع؛ لما فيه من طرافة وجدة، وعدم دراسته دراسة أكاديمية من قبل، إلى جانب الرغبة في تقديم دراسة تتمحور حول الحجاج ووسائل الإقناع، كما أنّ هذه القصيدة تُثّل نموذجاً ناضجاً يسمح بالاقتراب من الدكتور/ عبد الباري الأنصاري. وتأتي دراستنا هذه لتكون واحدة من الدراسات اللغوية التطبيقية التي تتناول أثر كورونا في تقوية الحسّ الإنساني، وذلك بإبراز الحجاج، وآليات الإقناع كما برزت في القصيدة؛ إذ كان يهدف الدكتور إلى إقناع السامعين بفكره، والتأثير فيهم، ولم تتناول أي دراسة أدبية أكاديمية سابقة هذه القصيدة بالتحليل - فيما أعلم -.

قد اتخذت هذه الدراسة من النظرية الحجاجية وسيلة للتحليل، وعليه؛ فإنّ الإشكاليات التي تطرحها الدراسة متسقة وهذه النظرية، ومن أبرز تلك الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها:

- ما أثر جائحة كورونا على الحس الإبداعي لدى الشعراء؟

- مَنْ خاطب الشاعر بقصيدته؟
- فيمَ تمثّلت آليات الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في القصيدة؟
- كيف نلتمس الآليات الاجتماعية والنفسية في القصيدة؟
- فيمَ يبرز التأثير اللغوي في القصيدة؟
- ما الدور الذي قام به التكرار- في القصيدة - وما هدفه؟
- ما الوظائف التي قام بها الازدواج في القصيدة؟
- كيف قامت الروابط ذات البعد الحجاجي - في القصيدة - بدورها في الإقناع؟
- ما أبرز الآليات البلاغية التي أدّت دور وسائل الإقناع القصيدة؟
- ما الخاصية التي استطاعت من خلالها الأساليب البلاغية أداء وظائفها التداولية؟
- كيف تنوّعت الوسائل المنطقية - في قصيدة الدكتور/ عبد الباري الأنصاري -؟
- كيف بدت شخصية الدكتور/ عبد الباري الأنصاري من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها في القصيدة؟
- وإنّ من أهم المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة ما يلي:
- إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، لمسعود صحراوي.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، لصابر الحباشة.
- الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، لسامية الدريدي.
- اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي.

أما منهجي في هذه الدراسة فكان المنهج الوصفي التحليلي، أما وصفي إذ يصف الظواهر الحجاجية في القصيدة، وأما تحليلي إذ إنّه يفكك التراكيب وفق معطيات النظرية الحجاجية. التي تُعد من أبرز النظريات التي تهتم بها التداولية، ومعلوم أنّ المنهج التداولي من أقدر المناهج على مقارنة النصوص الأدبية؛ إذ منح العملية

التواصلية الأولوية في معالجته للنصوص سواء ما يخص المرسل، والمتلقي، أم السياقات الخارجية، أم مقاصد المرسل، والأثر على المتلقي. كما منح المنهج التداولي النص الأدبي فضاءً واسعاً استطاع أن يحرره من قيود المنهج البنيوي.

أما هدف هذه الدراسة فهو إبراز الطاقات الإبداعية الكامنة في قصيدة (الوباء الخفي)، وإبراز خباياها، وإمكاناتها، وذلك من خلال النظريات اللسانية الحديثة؛ وذلك بإبراز وسائل الإقناع التي وظفها الدكتور/ عبدالباري في قصيدته؛ بغية التأثير في القارئ، واستمالتهم، وإدعائهم لفكره.

وانبثق عن هذا الهدف العام مجموعة من الأهداف الجزئية، والتي تتمثل في:

- الكشف عن سياق الموقف في قصيدة (الوباء الخفي).

- إبراز أهم الوسائل اللغوية للإقناع في القصيدة.

- الوقوف على أهم الوسائل البلاغية للإقناع في القصيدة.

- رصد أهم الوسائل المنطقية للإقناع في القصيدة.

سوف نلقي الضوء فيما يلي من صفحات على آثار جائحة كورونا الجلية والمؤثرة في تنمية حس الشاعر، ومفهوم الحجاج، والإقناع، والقصيدة، ثم نذكر نص القصيدة، ثم الوقوف على وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في القصيدة، فننتحدث عن سياق الموقف في القصيدة، والوسائل اللغوية (أفعال الكلام، والتكرار، والازدواج، والروابط الحجاجية)، والوسائل البلاغية (الاستعارة، والبديع) ثم نبرز أهم الوسائل المنطقية في القصيدة، ثم الخاتمة، وفيها ما توصلت إليه الدراسة، وتوصياتها.

التمهيد:

بدأت آثار جائحة كورونا جلية ومؤثرة في تنمية حس الشاعر؛ إذ وجدنا علمية خطابه، فخاطب الغرب، والصين، والعرب خطاباً يبرز الضعف الإنساني، أمام هذا الفيروس الخفي الذي لا يرى بالعين.

كان يتوقع المتلقي لهذا النص الشعري أن يجده بلغة عامية، أو شعراً يكسر فيه مبدعه النمط العروضي في الوزن والقافية، وأن يُعبّر الشاعر عن ألمه الذاتي وحزنه مستعيناً بالتكرار، حيث إنّ ارتباط القصيدة بالموت الجماعي يفقد الكثير من الشعراء الالتزام الإيقاعي المعهود، كما وجدنا في قصيدة (الكوليرا) لنازك الملائكة، التي كانت ثورة على العروض الخليلي سنة (1947م)، كما كان يتوقع المتلقي أن تبرز القصيدة شاعراً متبرّماً من هذه العزلة الاجتماعية، ولكننا وجدنا المسافة الجمالية تتسع فيلتزم الشاعر بالفصحى، والإيقاع العروضي المعهود، بل نجد كذلك التصريح في البيت الأول من القصيدة، فيرتقي الشاعر بلغته، ويستعمل الكلمات الموحية الطيبة التي ترتقي بالألسن، وتنمو وتربو المعاني والأفكار؛ فيلجأ الشاعر إلى ربه، ويدعو قومه إلى الإنابة إلى ربه، والتوبة، ويحثهم

على التوكّل على الله من غير تواكل، وأنّ التواكل فعل الجاهلين، ثمّ يختم القصيدة بنظرة إيمانية متفائلة، ينهى فيها عن القنوط من روح الله.

إذن التجربة السابقة التي ارتبطت بذهن المتلقي، هي قصيدة الكوليرا، قبل أن يقرأ القصيدة محل الدراسة، بدت بعيدة عن تجربة قصيدة (الفيروس الحفي).

استخدم الشاعر في قصيدته لغة أدبية أفعمت القصيدة - سنعرض لبعضها في تحليلنا الحجاجي للقصيدة-؛ فنلاحظ أنّ المبدع واجه أثناء نظمه للقصيدة قارئاً ادّعى تقدّم العالم، وأنّ هذا العالم قد أحاط بكل شيء علماً، وأنّ أهل الأرض لهم القدرة عليها، فجاءت قصيدته ردّاً عليهم.

لو دققنا النظر في لغة المبدع لكشفنا حقيقة ذكرها النص بلغة غير مباشرة، وهي أنّ الناس إذا فزعوا صاروا سجناء، ولا يعيب الشاعر عليهم ذلك بل يراه من أسباب العقل، ويدعو إلى مراجعة التاريخ، ووصايا القدامى الذين واجهوا الأوبئة بالعزلة.

بدا لنا جلياً أثر فيروس كورونا في تنمية الحس الأدبي لدى الشاعر الذي ارتقى بلسانه، وأفكاره، ومعانيه، فجاء خطابه خطاباً عالمياً يجمع بين التوكّل على الله، واتباع أسباب العقل.

إنّ التجربة الشعرية لدى (المبدع) كانت وليدة لفيروس كورونا، والمعاشية الوجدانية لتبعاتها "فالتجربة الشعرية تنطلق من الواقع الفردي، لكنها تكاد لا تنزع إلى التكامل حتى تعانق الواقع الاجتماعي وتحل فيه"⁽¹⁾ فالتجربة بدأت اجتماعية، ثم تحوّلت إلى فردية، وسرعان ما أصبحت خطاباً عالمياً، وقيمتما وصلت إلى معانقة الواقع، فالإبداع الشعريّ مرآة للحياة التي يعيشها الشاعر، ونحن هنا نحاول الكشف عن أثر كورونا في تنمية الحس الإنسانيّ.

يمكننا الوقوف على بعض الطرائق التي حاول من خلالها المبدع أن يرتقي بالحس الأدبيّ لدى المتلقي.

منها: استنطاق الإبداع من خلال التشخيص، فيقول:

قليلٌ علّمهم مُتقوّلوناً

وأنبأهم بأنهم ضعافٌ

ومنها الحكمة التي يثبها في قصيدته، فيقول:

أخي نُصح سبيلُ العاقلينَا

وأخذُ بالنصائح من خبيرٍ

(1) في الأدب والنقد: إيليا حاوي: ص 96، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1979م.

لزمنا الرحل فعل الصالحينَا

فإن قالوا: صلاةً في رحالٍ

وعن طريق القصة، فيقول:

لزمنا الرحل فعل الصالحينَا

فإن قالوا: صلاةً في رحالٍ

وتعمق المعنى الإنساني، فيقول:

ولكن لا تكونوا قانطينَا

سيُكشفُ ذا الوَبَا إن شاء ربي

هذا؛ وقد تعددت تعريفات الحجاج؛ إذ إنّها تدور حول عناصر موضوعية، وبنائية، ووظيفية متعددة⁽²⁾، وارتبطت به علوم شتى، فالحجاج يعني كل منطوق، موجه إلى غيره؛ بغية الإقناع بدعوى معينة يحق له الاعتراض عليها⁽³⁾ ويعني -أيضاً- "سلسلة من الأدلة التي تفضي إلى حجة واحدة، أو هو الطريقة التي تطرح بها الأدلة"⁽⁴⁾ فالحجاج هو طرح البراهين؛ بغية الوصول إلى الإقناع بطرائق مخصوصة.

أما مفهوم الإقناع فهو يدور حول إخضاع الباث المتلقي لفكره بلا تسلط ولا قهر؛ إذ يعني الإقناع: قصد المتكلم إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند السامع⁽⁵⁾.

فالعلاقة وثيقة بين الحجاج والإقناع؛ إذ إنّ الحجاج يسعى إلى إقناع السامع، ويزداد قوة وتألقاً كلما افترضت جمهوراً من السامعين أوسع وأخذ على عاتقه إقناعهم بطريقة أرقى وأفضل⁽⁶⁾ فالإقناع هو بغية الحجاج للوصول إلى منتهاه، والحجاج هو وسيلة الإقناع؛ بغية الوصول إلى مراده.

بناء على ما سبق؛ ونظراً لسياق الموقف في القصيدة-محل الدراسة- بات مسوغاً لنا أن نقوم بهذه القراءة الحجاجية.

• نص القصيدة:

(2) راجع: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغونو: ترجمة: محمد يحياتن: ص 100-101، ط1، دار الاختلاف، الجزائر 2008م.

(3) راجع: اللسان والميزان: طه عبد الرحمن (دكتور) ص 226، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1998م.

(4) المعجم الفلسفي: مجدي وهبة: ص 393، دار الثقافة الجديدة، مصر 1979م.

(5) راجع: عندما تتواصل نغير؛ مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبدالسلام عشير: ص 22، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2006م.

(6) راجع: الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه": سامية الدريدي: ص 35، ط2، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن 2011م.

مُصَابُ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْكُـُورُونَا
فَهَذَا الْغَرْبُ مَفْزُوعٌ مَخَوْفٌ
وَأَنْبَاءُهُمْ بِأَتَمِّهِمْ ضِعَافٌ
فَقَدْ زَعَمُوا بِأَتَمِّهِمْ أَحَاطُوا
وَقَدْ طَارُوا بِآفَاقٍ وَأَضَحُوا
وَخَاضُوا فِي الْبَحَارِ فِي الْبَرَارِي
وَأَتَمُّهُمْ بِأَمْرَاضِ الْبَرَايَا
فَهَذَا فَيَرُوسٌ بِالْعَيْنِ يَخْفَى
قَدْ أَفْزَعَهُمْ فَصَارَ الْفَرْدُ مِنْهُمْ
فَعُودُوا قَوْمَنَا لِلَّهِ وَادْعُوا
وَمِنْ كُلِّ الذَّنُوبِ - إِذَا أَرَدْنَا
وَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَاهُ
فَنَدْعُو رَبَّنَا بِجَلَاءِ كَرْبٍ
وَأَخِذْ النَّاسَ بِالْأَسْبَابِ عَقْلٌ
وَأَخِذْ بِالنِّصَائِحِ مِنْ خَبِيرٍ
فَإِنْ قَالُوا: صَلَاةٌ فِي رَحَالٍ
سَيُكْشَفُ ذَا الْوَبَا إِنْ شَاءَ رَبِّي

مُصَابٌ عَزَّ فِيهِمْ أَنْ يَهُونَا
وهذا الصينُ قد لاقى المنونا
قليلٌ علمُهم مُتَقَوْلُونَا
علوً بالحوادثِ والسَّيِّئَاتِ
على متنِ السحائبِ سَائِرِينَ
وَأَجْرُوا فِي الْخَيْطِ لَهُمْ سَفِينَا
جميعاً عالمونَ وعَارِفُونَا
ولا يبدؤُ لأقوى الناظرينَا
حيساً بيتهُ حقاً سَجِينَا
بإخلاصٍ له مُتَضَرِّعِينَ
زوالاً للـُوبَا - تستغفرونَا
دُعَاءُ التَّائِبِينَ الْمُخْلِصِينَ
يحولُ عن المساجدِ ما بقينَا
وتركُ الْعَقْلِ فِعْلُ الْجَاهِلِينَ
أخي نُصَحُ سِيْلُ الْعَاقِلِينَ
لزمنا الرّحل فعلُ الصّالحينَا
ولكن لا تكونوا قَانِطِينَ

قبل الشروع في رصد وسائل الإقناع في القصيدة يجب الإشارة إلى أنّ الدمج والتفاعل بين هذه الوسائل أمر طبعي، وأنّ تناول كل وسيلة منها على حدة أمّا هو؛ لبيان الصورة والهيئة البنائية، والدور الخاص لهذه الوسيلة في ضوء الوظيفة العامة لهذه الوسائل.

القصيدة التي بين أيدينا تمثل خطاباً حجاجياً بامتياز، يسعى من خلاله الشاعر بصفته صوتاً للإنسانية، إلى إقناع المخاطبين في مشارق الأرض ومغاربها بطريقة التعامل مع فيروس كورونا المستجد؛ من ثمّ حشد في قصيدته مختلف وسائل الإقناع بغية قبول قوله.

سوف نتناول في الصفحات التالية وسائل الإقناع الموظفة في القصيدة، على النحو التالي:

أولاً-سياق الموقف في القصيدة.

ثانياً-الوسائل اللغوية للإقناع في القصيدة.

ثالثاً-الوسائل البلاغية للإقناع في القصيدة.

رابعاً-الوسائل المنطقية -الدلالية- للإقناع في القصيدة.

أولاً- سياق الموقف في القصيدة

إلقاء الضوء -ولو بإيجاز- على سياق الموقف في القصيدة ضرورة ملحة يتطلبها التحليل الحجاجي؛ إذ يؤطر هذا الخطاب، ويرز البعد الإقناعي فيه، ونعني بسياق الموقف: المحيط غير اللغوي الذي يُبرز الخطاب ويوضحه، فيشمل الملابس المتصلة بالقصيدة، كما أنّ عنوان القصيدة (الوباء الخفيّ - كورونا-) أعطت صورة لسياق القصيدة، إذ إنّ عتبة مهمة من عتبات النص تبرز مناسبة القصيدة، وأطرافها، وسياقها.

الحديث عن قائل النص، والمتلقي، وتحليل أوجه العلاقة بينهما أمر مهم في دراسة أي خطاب حجاجي، ذلك أنّ وضعية كل من طرفي الخطاب، ونوع العلاقة بينهما، تمثل حجر الأساس في النص.

- المرسل

في هذه القصيدة المرسل هو الدكتور الشيخ /عبد الباري بن حماد بن محمد الأنصاري، الأستاذ المساعد في كلية الحديث الشريف، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ولد -حفظه الله تعالى- في ذي القعدة سنة 1387هـ بمكة المكرمة، حصل: دكتوراه في علوم الحديث، عمل وكيلاً لكلية الحديث الشريف للدراسات العليا. وعضواً لمجلس إدارة جمعية السنة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، اشترك في عدد من الدورات الشرعية في داخل المملكة وخارجها، وهو أحد المتخصصين المشاركين في موقع شبكة السنة النبوية وعلومها.

أما القصيدة التي بين أيدينا فتعرض حديثاً عن فيروس كورونا، فتحدثت عن عظم الفاجعة التي أصابت البشرية؛ بسبب هذا الفيروس، وأخبر البشرية بمدى ضعفها أمام هذا الفيروس، ثم بين لنا أنّ هذا الفيروس لا يرى بالعين، إلا أنّ آثاره العالمية كانت عظيمة أصابت المجتمعات الإنسانية بالعزلة الاجتماعية، حتى إنّ المساجد

أغلقت، ثم بيّن طريقته لمواجهة هذا الفيروس تتمثل في: التضرع إلى الله، واتباع أسباب العقل، ثم ختم القصيدة بنظرة تفاؤلية تبشّر بانكشاف هذا البلاء، وعدم القنوط من روح الله ...

سُكِّشِفُ ذَا الْوَبَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَلَكِنْ لَا تَكُونُوا قَانِطِينَ

- المرسل إليه

هو الطرف الثاني الذي أثار الدكتور/ الأنصاريّ، ودفعه إلى قول هذه القصيدة، وهو البشريّة عموماً؛ إذ إنّ خطابه كان خطاباً عالمياً وجهه للغرب، والصين، والعرب، ولا يقل دور المستقبلين في هذا الخطاب عن دور الباحث؛ إذ إنّ العملية التواصلية لا بد فيها من مرسل ومستقبل، فالموقف موقف حجاج وإقناع؛ للدفاع عن الفكر بالكلمة؛ ليرز هذا النص الشعري الأذى الذي وقع على الإنسانية كافة؛ من هذا الوباء. لا يخفى أنّ عالميّة خطاب الدكتور/ الأنصاريّ دل عليه مضمون القصيدة، فهو يصوّر الفيروس الخفيّ، وما ألحقه بالبشريّة من آلام وأحزان...

وأما زمان، ومكانها: نظمت هذه القصيدة وقت جائحة (كورونا) وبالتحديد بتاريخ 23-7-1441هـ، ونظمها الدكتور/ بالمدينة المنورة.

بناء على ما سبق يمكننا القول: إنّ السياق المؤطر للقصيدة (المرسل، والمرسل إليه، والعلاقة بينهما، والأفعال المصاحبة، والزمان،...) جاء مشحوناً من ناحية الإقناع؛ لكونه متعلّقاً بجائحة إنسانية، ومن ثمّ بدا الحجاج في أعلى صوره في هذه القصيدة.

وننتهي إلى أنّ الحديث عن الباحث، والمتلقي وتحليل أوجه العلاقة بينهما أمر مهم في دراسة أي خطاب حجاجي، ذلك أنّ وضعية كل من طرفي الخطاب، ونوع العلاقة بينهما، تشكّلان نقطتي اختلاف رئيسيتين بين البرهنة الرياضية، أو المنطق الصوري من جهة، والحجاج من جهة أخرى، فمن البرهنة والمنطق إلى الحجاج يتخذ دور الباحث نسقاً تصاعدياً، فإذا كان لا دخل له البتة في نجاعة البرهنة، وصحة الاستدلال المنطقي، فإنّه يصبح أساساً متى تعلّق الأمر بتقنيات الإقناع في الخطاب الحجاجي؛ لأنها تشكّل حجر الزاوية فيه.⁽⁷⁾

ثانياً- الوسائل اللغوية:

تُعد الوسائل اللغوية من أهم الأدوات في عملية الإقناع، فهذه الأدوات "بمثابة قوالب تنظّم العلاقات بين الحجاج والنتائج، أو تُعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب الخطاب"⁽⁸⁾ وقد توسّل بها الدكتور/

(7) راجع: الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه": ص 34.

(8) إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": عبد الهادي ظافر الشهري: ص 477، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان 2004م.

الأنصاري أثناء طرح نصه الشعري؛ بغية إكسابه طاقة حجاجية، ونهتم في هذه الوسيلة بالاختيارات اللفظية والتركيبية التي يعتمد عليها الشاعر لغاية حجاجية، وتعد هذه الأدوات بمنزلة القوالب التنظيمية للعلاقات بين الحجاج والتأثير، وتساعد الباحث على تقديم حججه حسب الموقف.

ولا مناص في دراستنا الحجاجية من الاهتمام بالجانب التأثيري للغة؛ نظرًا لدوره الفعّال في العملية التواصلية؛ بغية الإقناع، وهذا التأثير اللغوي يبرز عبر الصيغ اللغوية المتعددة، ومن أهمها: أفعال الكلام التي تؤدي وظيفة الإقناع عبر قوتها الإنجازية.

1- أفعال الكلام

أفعال الكلام، أو ما يُطلق عليها -أحيانًا- الأفعال اللغوية، هي مجال مهم من مجالات البحث اللساني التداولي، ويرجع الفضل في تنظيره إلى الإنجليزي (أوستين)، وتطوره على يد تلميذه (سيرل)، ونعني بأفعال الكلام "كل منطوق ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"⁽⁹⁾

سوف نعتمد في تحليلنا للأفعال الكلامية في القصيدة على اقتراح (سيرل)؛ إذ إنه أكثر دقة ووضوحًا من نموذج أستاذه (أوستين)، وسنحاول من خلاله إبراز الدور الذي تقوم به الأفعال الكلامية في إحداث الإقناع والتأثير.

هذا؛ وقد حدّد (سيرل) خمسة أصناف للأفعال الكلامية، هي: "الأخبار، والتوجيهات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانات"⁽¹⁰⁾

أ- الأخبار (الإخباريات) (Assersifs): تعني تبليغ الخبر؛ وهي تمثيل للواقع، وتسمى أيضًا بالتأكيدات، أو الأفعال الحكمية، أي إنه ينقل الواقع كما هو، ويندرج في هذا القسم الأفعال الدالة على التوضيح كلها، وأغلب الأفعال الدالة على الأحكام. مثل: نُعبّر عن رأي الأمة كافة.

ب- التوجيهات -الأوامر (Directifs): تحمل المخاطب على فعل معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين؛ إذ تقوم على محاولة توجيه المخاطب إلى سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرغبة الصادقة، وتمثلها صيغ الاستفهام، والأمر، والنهي، والرجاء، والنصح،

(9) التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي: ص 40، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2005م.

(10) راجع: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي)، لعلي محمود حجي الصراف: ص 60: 63، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر 2012م

والتشجيع، والدعوة، والإذن، والاستفسار، والسؤال، والتحدي، وتدخل كثير من أفعال القرار في هذا القسم كما تدرج فيه ما أسماها (أوستين) السلوكيات التي تعبر عن رد فعل سلوك الآخرين. مثل: لا أسمح لك.

ج- الالتزامات (أفعال التعهد) (Commissifs): وهي أفعال التكليف نفسها عند (أوستين)؛ إذ يلتزم المتكلم بفعل شيء معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بفعل أو الالتزام بشيء في المستقبل عن قصد وإخلاص، والسمة المميزة لهذا النوع عن سابقه، أنه لا يبتغي التأثير في السامع، ومن أمثله: أضمن، أقسم، أنعهد، أتعاهد على، سألتزم بما هو مكتوب.

د- التعبيرات (التصريحات) (Expressifs): وهي الأفعال التمرسية عند (أوستين)، وتعبر عن حالة، مع شرط صدقها، وتعني الفعل اللغوي الذي يعبر من خلاله المتكلم عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض، فهي التعبير عن مواقف نفسية تعبيراً مخلصاً، وتدرج تحتها أفعال الشكر، والتهنئة، والتعزية، والاعتذار، والتمني، والندم، والمواساة، والحسرة، والندم، والشوق، والكره، وإظهار القوة والضعف، والحزن، والترحيب، مثل: أشكرك سيدي الرئيس....

هـ - الإعلانيات - الإنجازيات (Declarations): وتكون حين التلفظ ذاته، وقوام هذه الأفعال التعيين، فيحدث تطابق بين مقتضاها مع العالم الخارجي، ما يعني قيام هذا النوع على وضع غير لسانی من شأنه تغيير الحالة القائمة إلى حالة مستجدة. وبهذا يمكن أن يكون اللفظ موقعاً لفعل معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يغير الواقع بما يتوافق مع المحتوى (الحدث) للإعلان. ومن أمثله ألفاظ البيع والشراء، والزواج والطلاق، والقذف والتنازل، والإقرار...

من خلال مراجعة نص القصيدة يمكننا الوقوف على ما يلي فيما يخص أفعال الكلام:

كانت الإخباريات هي أكثر الأفعال حضوراً في أبيات القصيدة؛ فوجدناها في الأبيات من الأول إلى التاسع، ثم الثاني عشر، ثم الرابع عشر والخامس عشر أي بمجموع (12) بيتاً، ثم جاءت التوجيهات في الأبيات العاشر والحادي عشر، والثالث عشر وبلغ عددها (3) أبيات، أما الإعلانات فجاءت في البيت السادس عشر فحسب، والتعبيريات في البيت السابع عشر، ولم نجد للالتزامات حضوراً في القصيدة.

مثّلت الإخباريات حضوراً واسعاً في القصيدة، وهو أمر طبعي؛ نظراً لأن العملية التواصلية تقوم على الإخبار، والمشاركة في الموضوع المعروض، إذ إنّ الإخباريات هي التي تؤدي إلى إقامة الحجة، ومن ثمّ تتحقق الإفادة. إنّ هذا الكم الهائل من الإخباريات في القصيدة في هذه الجمل القصيرة المتعاقبة يسعى من خلالها الشاعر إلى إثبات حجته بطريقة تفيد تقرير الحقائق؛ فالإخباريات نحو: (مُصابٌ عزٌّ فيهم أن يهُوناً، فهذا الغربُ مفزوعٌ مخوفٌ، قليلٌ علمهم مُتقوّلوناً، ولا يبدو لأقوى الناظرينَا، وخضوا في البحار وفي البراري، جميعاً عالمون

وعارفونا...) كلها إخباريات تقريرية تُبرز عظمة الجائحة الإنسانية، وضعف البشرية أمام هذا الكورونا، والخير، والجمال، وبطل الشاعر يتكئ إلى الإخباريات؛ بغية إبراز الضعف الإنساني أما هذا الفيروس. من ثم؛ يرغب الشاعر في إقناع السامعين، والرد على أدعياء العلم، وما ذكره الشاعر بهذا الخصوص، هو ما لا يمكن تحقيقه إلا بهذه الأخبار. ولا يخفي ما في هذه الأخبار من تأكيد معنوي، فالتعبير بها يجعل ما يذكره من المسلمات التي لا تقبل الشك، ولا المناقشة...

أما التوجيهات في القصيدة، فقد تلت الإخباريات من حيث الحضور، وقد تنوعت التوجيهات وجاءت كلها بصيغة الأمر، وعمد إليها الشاعر؛ نظرًا لعظم الفاجعة، فالخطاب لا يتحمل استفهائمًا، ولا تعجبًا بل يستدعي سرعة الموافقة والرد، وهو ما يتحقق في الأمر في قوله:

فَعُودُوا قَوْمَنَا لِلَّهِ وَادْعُوا بِإِخْلَاصٍ لَهُ مُتَضَرِّعِينَ
وَمَنْ كُلِّ الذُّنُوبِ - إِذَا أَرَدْنَا زَوَالًا لِلْوَبَا - تَسْتَغْفِرُونَا
ثم يقول:

فَنَدْعُو رَبَّنَا بِجَلَاءِ كَرْبٍ يَحُولُ عَنِ الْمَسَاجِدِ مَا بَقِينَا

فيه توجيه أراد به الشاعر عموم الناس نحو الدعاء والتضرع إلى الله لرفع البلاء، والتوبة إليه، محاولاً إقناع المتلقين، والإذعان لقوله،، هكذا تعددت التوجيهات في القصيدة التي أدت دوراً في محاولة إقناع المتلقين واستمالتهم، بما يحمله الخطاب التوجيهي من أوامر...

نجد أفعال الإعلانات-الإنجازات - الإدلائيات - في البيت السادس عشر:

فَإِنْ قَالُوا: صَلَاةٌ فِي رَحَالٍ لَزِمْنَا الرِّحْلَ فَعَلَّ الصَّالِحِينَ

غاية الإعلانات تغيير الواقع بما يتوافق مع الحدث، وهي الصلاة في المنازل، وترك صلوات الجماعة؛ بسبب داء كورونا وإقناع الناس بذلك.

نجد في القصيدة التعبيرات (التصريحات) وتعني الفعل اللغوي الذي يعبر من خلاله الشاعر عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض؛ إذ يعبر عن مواقف نفسية تعبيراً مخلصاً، ونجدها في آخر القصيدة هذه القصيدة، إذ يقول:

سَيُكْشَفُ ذَا الْوَبَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَلَكِنْ لَا تَكُونُوا قَانِطِينَ

تكمن براعة هذا التعبير في مطابقته للواقع الخارجي، فالقول هو الفعل، والغرض المنشود هو البشري بانكشاف الوباء، والدعوى إلى ترك القنوط؛ من ثمّ برزت قدرة الشاعر، وبراعته في إبداع فعل حجاجي من خلال وعيه الكامل بما أراد في قصيدته.

2- التكرار

للتكرار وظيفة إيحائية فهو للتأكيد المعنوي، وللكشف عما بداخل النفس، أو للبرهنة على صفات مناسبة للقول، ولقد أدرك علماء النفس، والاجتماع ما للتكرار من أثر فذكروا أن لـ "التكرار تأثير في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك أنّ الشيء المكرر ينطبع في تحاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المتكرر، إذ إنّ الشيء إذا تكرر رسخ في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة"⁽¹¹⁾ كما يؤدي التكرار دوراً حجاجياً مهماً؛ إذ يساعد على التبليغ، والإفهام، ويُعين المتكلم على ترسيخ الرأي، والصورة في ذهن. لقد استعان الشاعر بالتكرار سواء أكان لفظياً، أم معنوياً، ومن التكرار اللفظي، تكراره للفعل (مصاب) في البيت الأول من القصيدة، ويهدف الشاعر من هذا التكرار، تأكيد المعنى، وترسيخه في ذهن المتلقي، وبيان أثر كورونا على البشرية، وكذا تكرار كلمة (عقل)، في البيت الرابع عشر، فيقول (عقل، وترك العقل) فيؤكد المعنى، ويبرز أهمية الاتكاء عليه، والرد على جهلاء القوم، وفي البيت الخامس عشر نجد تكرار (النصح)، فيقول:

وأخذُ بالنصائح من خبيرٍ أخي نُصح سبيلُ العاقلينَا

فالنصيحة هنا من عليم بخفايا الأمور، والأخذ بها وسيلة أصحاب العقول، كما نجد التوكيد المعنوي في البيت السابع، فيقول:

وأثمُّ بأمراض البرايا جميعاً عالمونَ وعارفونَا

كما لا يخفى ما بين (عالمون، وعارفون) من تكرار بغير لفظه، وإثماً بمعناه، بغية الحجاج بمجاراتهم، ثم يبطل زعمهم بتكرار معنوي في البيت التالي فيقول:

فهذا فيروُسٌ بالعينِ يخفى ولا يبْدُو لأقوى الناظرينَا

لقد اعتمد الشاعر في إقناع السامعين، على العرض اللغوي لموضوعه الحجاجي بتكراره وصياغته صياغة موازية، وإلباسه موسيقا ذات إيقاع متكرر، فالتكرار ساعد على إقناع المتلقين كافة، باختلاف مستوياتهم الفكرية،

(11) روح الاجتماع: غوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول: ص 139، المطبعة الرحمانية، مصر (د.ت).

والعقلية، بعظم الفاجعة، وضعف البشرية أمام هذا الفيروس؛ مبطلاً ادعاءهم، بأنهم قد أحاطوا بالعلوم، وأنهم قادرون على الدنيا.

3-الازدواج

الازدواج من أبرز الوسائل اللغوية التي تقوّي الحجاج؛ إذ يعضد خطاب المرسل في سبيل إقناعه المتلقي، بما يملكه من تأثير إيقاعي متناسق، فيؤثر على الجانب، السمعي، والنفسي، ونجده في القصيدة، ومنه:

مُصابُ الناسِ من هذا الكُورونا مُصابٌ عزٌّ فيهم أن يهُونا

الشاعر في البيت السابق، يستعين بالازدواج منه ازدواج الجمل؛ حيث أتى الشاعر في بيته من أوله إلى آخره بجمل مزدوجة؛ (مصاب الناس، ثم من هذا، الكُورونا)، ويقابله في المصراع الثاني (مصاب عزّ، فيهم أن، يهونا) رغبة في ترسيخ صورة هذا الفيروس الخطير، وأثر على البشرية جمعاء، وهنا يبدو جلياً تقاطع حالات الازدواج، وتكرار المضمون، فالجمل تجمع بين الازدواج، والتكرار لمضمون الجمل، ولا يخفى ما في هذا الانسجام الموسيقي من دور التذكر، وإقناع المتلقي، وفي البيت السابق نوع آخر من الازدواج بين (مصاب، ومصاب) حيث أتى الشاعر بكلمتين صورتهمما واحدة، ومفهومهما واحد.

فالازدواج في القصيدة أدى وظائف حجاجية؛ بغية الإقناع تمثلت في الوظيفة التأثيرية وهي التذكر، والتأكيد الضمني بما فيه من تكرار معنوي، إلى جانب الطاقة الإيقاعية المتولدة من الانسجام اللفظي، والجمالي، والتلاحم بين أجزاء الجملة، هذا كله يؤدي إلى سهولة الحفظ، وتثبيت الفكرة؛ وصولاً إلى استمالة المتلقين، وإقناعهم.

3-الروابط اللغوية:

نقصد بالروابط اللغوية الروابط الحجاجية، التي لها دور حجاجي مهم؛ بما تمنحه من انسجام في الخطاب، والوصول إلى الإقناع من خلال استمالة السامع، وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المرسل. ومن أبرز الروابط ذات البعد الحجاجي، أحرف العطف (الواو، الفاء، ثم)، حيث إنّها تؤدي دوراً حجاجياً كبيراً، كما تسهم هذه الروابط في إبراز المعنى، وزيادة وضوحه، إلى جانب دورها في التنظيم، والإثبات حسب معناها. فهذه "الروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة..."⁽¹²⁾

(12) اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي: ص27، ط1، الدار البيضاء، المغرب (د.ت)

- الواو

يُعد رابط (الواو) أكثر الروابط حضورًا في القصيدة، فنجد من البيت الثاني إلى نهايتها، ولقد عبّر الشاعر من خلاله عن فكرته، ومنه: (وهذا الصيْنُ، وأنبأهم، وقد طاروا بأفاقٍ، وأضحوا، وخاضوا، وأجروا، وأنهم، ولا يبذو، ومن كلِّ الذنوب، وإنَّ الله يسمع، وأخذُ الناس، وتركُ العقل، وأخذُ بالنصائح، ولكنَّ) الرابط الحجاجي (الواو) قام بالوصل بين الحجج المتعددة، وعمل على ترتيبها، وتقويتها، فالحجج مترابطة تدعم كل حجة الأخرى، وهذا هو الدور الذي أدته (الواو) فيسوق الشاعر الجملة، ثم يأتي بعدها بجملة أخرى تليها، توضح المعنى وتؤكد، فيبرز ضعف البشرية أمام هذا الفيروس، ثم يتوجه إلى المتلقي بدعوته إلى الرجوع إلى الله، وفي البيت الخامس عشر، والسادس عشر يتكرر رابط (الواو) مرتين مع المصدر أخذ (وأخذُ الناس، وأخذُ بالنصائح)؛ فكرر وعطف وكلاهما لحث الناس على الأخذ بالأسباب في مواجهة، كورونا؛ ليزر ضرورة التحلي بالعقل في مواجهة هذا الفيروس، كل هذه الحجج تدعم بعضها بعضًا، ف(الواو) أكدت المعنى، وعملت على تنسيق الجمل وترتيبها، بما يضمن تدعيم النتيجة النهائية، والفكرة المقصودة.

- الفاء

(الفاء) مثل (الواو)، هي رابط حجاجي يؤدي وظيفة (الواو) نفسها، من تنسيق، وتدعيم، وتقوية للحجج؛ بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة، ويزيد عليها كونها للتعقيب، ونلاحظ اعتماد الشاعر عليه في أول البيت دون غيره إلا في قوله (فصار الفرد منهم) فكأنما تحولت (الفاء) من أول الشطرة لوسطها بفعل هذا الفيروس الخفي، كما حوّل الناس إلى سجناء في بيوتهم، فهو رابط استخدمه المرسل لربط الأبيات وتعاقبها، لتأمل هذه العبارات التي أوردها الشاعر؛ لإبراز حجته في الحديث عن هذا الفيروس، واعتماده على الرابط الحجاجي (الفاء) فقال:

وهذا الصيْنُ قد لاقى المنونا

فهذا الغربُ مفزوعٌ مخوفُ

ثم بعد ذلك

علومًا بالحوادثِ والسَّينَا

فقد زَعَمُوا بأنهم أحاطوا

ثم :

ولا يبذو لأقوى الناظرينا

فهذا فيروُسٌ بالعينِ يخفى

ثم:

بإخلاص له مُتضرِّعينا

فعُودوا قومنا لله وادعوا

ثم:

يحول عن المساجد ما بقينا

فندعو ربنا بجلاء كَرِبِ

ثم:

لزمنا الرحل فعل الصالحين

فإن قالوا: صلاة في رحال

نجد الشاعر يستعين بـ(الفاء) في: (فهذا الغرب)، وهو إبراز لحال الغرب، وفزعهم وخوفهم، فإلى جانب الربط اللغوي، نرى تأكيد المعنى المراد، والتعليل له، وما فيها من ترتيب منطقي، لقد ناسبت (الفاء) هذا المقام؛ لما فيها من معنى الترتيب والتعقيب، وكذلك الحال في (فهذا فيروس) إشارة إلى خفاء الفيروس مع عدم القدرة على إبطاله، ثم تستخدم فاء التعقيب للدعوة إلى العودة لله (فعودوا، فندعو، فإن قالوا صلاة...) ومن ثم فقد جاءت (الفاء) هنا؛ لتدعيم الرجوع إلى الله عقب جائحة كورونا برؤيا إنسانية خالصة، يخاطب فيها الشاعر، الجانب الإيماني لدى الإنسان المسلم، فـ(الفاء) حرف عطف نهض بمعنى حجاجي؛ حيث ربط بين النتيجة والحجة؛ بغية التعليل والتفسير.

ثالثاً- الآليات البلاغية

البلاغة آلية من آليات الحجاج؛ إذ تعتمد على الاستمالة والإقناع، وأساليب البلاغة قد تؤدي وظيفة إقناع واستدلال؛ لما لها من خاصية التحول؛ لأداء أبعاد تداولية. كما أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر لها خاصية التحول إلى أداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية، وإفادة أبعاد تداولية⁽¹³⁾.

من ثم؛ تتعدد الآليات البلاغية التي تؤدي دور وسائل الإقناع، في قصيدة الدكتور الأنصاري التي يتحدّث فيها عن فيروس كورونا؛ منها: الاستعارة، والبديع.

1- الاستعارة

للاستعارة منزلة كبيرة في حقل الدراسات التداولية؛ إذ تؤدي دوراً في العملية الإقناعية، وللاستعارة دور تأثيري، وتواصلية؛ لذا تُعرّف الاستعارة الحجاجية بأنها: "تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري، أو العاطفي للمتلقى".⁽¹⁴⁾ فللاستعارة وظيفة حجاجية من منظور الدراسات اللسانية الحديثة؛ لما تؤديه من دور في العملية الحجاجية؛ فمن خلال الاستعارة يستطيع المتكلم إقناع المتلقي بفكره بطريقة غير مباشرة.

(13) راجع: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، لصابر الحباشة: ص 50، ط 1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا 2008.

(14) اللغة والخطاب، لعمر أوكان: ص 134، ط 1، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب 2001.

هذا؛ ونقف أمام الاستعارة التي استهل بها الشاعر قصيدته إذ يقول:

وأنبأهم بأنهم ضعافٌ قليلٌ علمهم مُتَقَوِّلُونَ

لا نقف في الاستعارة على الصور الجمالية فيها بل نتعدها إلى الغاية الحجاجية، والتي تهدف إلى الإقناع والاستمالة، من خلال الفكر، والموقف. فأراد الشاعر بيان أثر كورونا وما ألحقه بالبشرية من آلام وأحزان؛ إذ شبه كورونا بإنسان يتكلم، ويخبر، وحذف المشبه به، وأتى بلازمة من لوازمه، وهي الإخبار، وانتقل الشاعر من خلالها إلى أعلى مراتب السلم الحجاجي، حيث جعل الفيروس إنساناً يتكلم وينطق، فانتقل من المعنى الحقيقي، إلى التشبيه، ومنه إلى الاستعارة -هذا من ناحية- ومن ناحية أخرى برزت الاستعارة لتحقيق هدفها الحجاجي؛ حيث تعلقت بمقصد الشاعر، وبغيته التواصلية، فغرضه بيان أثر كورونا على البشرية، وكيف استطاع أن يكشف هذا الفيروس وهن البشرية وضعفها، وقلة علم البشر، مع ادعائهم العلم، فلم يكن الغرض من الاستعارة غاية جمالية فحسب، بل غاية حجاجية؛ لإقناع السامعين بفكرته، واستمالتهم لمقصده.

2- البديع

أدى البديع دوراً حجاجياً مهماً في القصيدة بهدف الإقناع، وبلوغ المقصد والاستمالة، بما يملكه من دور في العملية التواصلية. "وإذا أدركنا أنَّ الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأنَّ هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام، تبيننا أنَّ أساليب البيان مثل: المقابلة، والجناس، والطباق وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع وإنما هي أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ"⁽¹⁵⁾ وتتعدد صور البديع في القصيدة؛ منها الطباق، وهو محسن بديعي، يؤدي إلى جانب وظيفته الجمالية وظيفة تواصلية؛ إذ إنه يزيد المعنى وضوحاً من خلال الصورة الدرامية المؤثرة التي يبدعها، فهو وسيلة للإبلاغ والتبليغ.

هذا؛ وقد تعددت الطباقات في القصيدة، منها: (عز أن يهونا، عقل وترك العقل، ...)، فكان الحجاج بين الكلمات السابقة بالثنائيات فوظف الشاعر هذه الثنائيات؛ ليعبر عن مقصده، ويستميل السامعين، ويقنعهم بقضيته؛ ليصل إلى هدفه الحجاجي، وهو ضعف البشرية أمام هذا الفيروس الهين الذي لا يُرى، وكذلك نجد المقابلة بين البيت الخامس والسادس، إذ يقول:

وقد طاروا بآفاقٍ وأضحوا على متن السحائب سائرينا

وخاضوا في البحار وفي البراري وأجروا في المحيط لهم سفينا

(15) إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": ص 498.

هنا برز التضاد رافداً مهماً من روافد الحجاج، توسّل به الشاعر لدعم حججه، من خلال التأثير الذي يحمل السامع إلى الانتباه، فالإذعان، فيفيض الشاعر القول في وصف البشرية لقدرتها، وكأنّه هنا افترض قارئاً ضمناً، يدّعي قدرة البشر، ويصف ما وصلوا إليه، فتأتي الأبيات التالية داحضة لزعم هذا القارئ الضمني المتخيل من قبل الشاعر.

كذلك نجد التصريح في البيت الأول بين (الكورونا وبين يهونا)، إذ يقول:

مُصابُ الناس من هذا الكُورونا مُصابٌ عزّ فيهم أن يهُونا

إذ يعني التصريح: اتفاق الحرف الأخير من المصراع الأول مع الحرف الأخير من المصراع الثاني في البيت الأول، من ثمّ استشارة العواطف، بإيقاع موسيقي متواتر مؤتلف يزيد من سهولة القصيدة وعزوبتها، وسلاستها التعبيرية، فتؤثر في النفوس، فيقتنع السامع.

رابعاً- الآليات المنطقية

تُعد الوسائل المنطقية من أهم أدوات عملية الإقناع، ونعني بها: جملة الأساليب التي تعتمد قوانين المنطق، والتي تؤدي إلى إقناع المتلقي بما طرح عليه من أفكار، وما عرض عليه من آراء.⁽¹⁶⁾

لقد استعان الشاعر بالوسائل المنطقية أثناء طرح قصيدته؛ بغية إكسابها طاقة حجاجية، والتي اعتمدت قوانين المنطق، ومنها الحجج شبه المنطقية، التي استمدت قوتها من الإقناع، واتخذت قالباً منطقيّاً شكليّاً فيه تحشر المعطيات، مثل: التناقض، والتماثل التام أو الجزئي، ومثل قانون التعدية، كما اعتمدت الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل: علاقة الجزء والكل، وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر وغيرها، فالحجج شبه المنطقية تشمل نوعين: الأول حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية كالتناقض، والتعددية، وحجج شبه منطقية تستند إلى العلاقات الرياضية كإدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له⁽¹⁷⁾ ولجأ الشاعر في قصيدته إلى تقسيم الكل إلى أجزائه؛ إذ أجمل القول في مستهل القصيدة؛ فيقول:

مُصابُ الناس من هذا الكُورونا مُصابٌ عزّ فيهم أن يهُونا

(16) راجع: الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، لسامية الدريدي: ص 175، ط2، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن 2011م.

(17) راجع: الحجاج عند أرسطو أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لحماي صمود: ص 325، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس (د.ت).

إشارة إلى ما ألحق هذا الفيروس بالبشرية من آلام وأحزان، ثم أخذ يعرض حقيقة البشرية؛ ليُفَصِّل ما أجمل، ويعلل ما ذكره أولاً، فيقول:

وهذا الصين قد لاقى المنونا فهذا الغرب مفزوعٌ مخوفٌ
قليلٌ علمهم مُتَقَوِّلونا وأنبأهم بأنهم ضعافٌ

إلى آخر القصيدة.

من ثم؛ سرد الشاعر حججاً متعددة؛ بغية بيان أثر هذا الفيروس على البشرية، والرد على زعمهم -العلم، والمعرفة- والقدرة- ويدعوهم إلى العودة إلى ربهم الأعلى، فبقية القصيدة هي مجموعة حجج إذا حذف بعضها ضعف الإقناع.

كذلك نجد في القصيدة من الآليات المنطقية، الحجج التي تستدعي القيم، إذ تهدف الحجج التي تستدعي القيم إلى فرض الرأي، وتسعى إلى إثبات الفرضيات على أنها حقائق لا لبس فيها؛ إذ تجبر السامع على اختيار ما، وحمل الجميع على الإذعان اعتماداً على حجج ذات سلطة فاتنة، فيدخل الحجاج عندها، بسهولة فائقة إلى باب التوجيه، ويتحول الإقناع إلى هجوم يستهدف مناطق الخصم المعرفية، ويمكننا تقسيم القيم إلى ثلاثة أصناف يتواتر استعمالها في مجال الحجاج؛ أولها: قيم كونية، وثانيها: التزام مجردة، وآخرها: قيم فعل محسوسة.⁽¹⁸⁾ ولقد اعتمد الشاعر في قصيدته على مجموعة من القيم الكونية (الحق، والخير، والجمال) وجعلها مرجعية، وسنداً في قصيدته، ليقنع السامعين بفكره، من هذه الحجج:

فعودوا قومنا لله وادعوا بإخلاص له مُتَضَرِّعِينَ
ومن كلِّ الذنوب - إذا أردنا زوالاً للوبأ - تستغفروننا
وإنَّ الله يسمعُ من دَعَاه دُعَاءُ النَّائِبِينَ الْمُخْلِصِينَ

احتجَّ الشاعر بضرورة العودة إلى الله، والتضرع إليه، والاستغفار له، والدعاء والتوبة، وكلها قيم كونية، تجمع الحق، والخير، والجمال.

ثم يأتي البيت الأخير ويؤكد على هذه القيم إذ يقول:

سَيُكْشَفُ ذَا الْوَبَأِ إِنْ شَاءَ رَبِّي وَلَكِنْ لَا تَكُونُوا قَانِطِينَ

(18) راجع: الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه": 270، 271.

إنها قيمة التسليم للخالق، وانتظار الفرج القريب، وهي قيم متفق عليها من البشرية جمعاء.

إنّ القيم التي استعان بها الشاعر، هي محل إجماع من المجتمع، والبشرية، والقارئ للقصيدة يجد أنّها زاخرة بالحجج والبراهين التي اختارها الشاعر في رصد هذا الفيروس؛ ليقنع المتلقين بفكره.

من ثمّ؛ برزت شخصية الشاعر من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها؛ أنه شخصية مؤثرة قويّة عقلانيّة، محبة للإنسانيّة، متوكلة على ربها، مع الأخذ بالأسباب.

الخاتمة:

بعد أن تتبّع الباحث وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في قصيدة "الوباء الخفي" لعبد الباري بن حمّاد الأنصاري، توصّل إلى مجموعة من النتائج أجملها في النقاط التالية:

- تمّت جائحة كورونا الحس الإبداعيّ لدى الشعراء، وهذا ما لمسناه في حجج الشاعر، وأفكاره، وأساليبه.
- وجدنا عالميّة خطابه، فخاطب الشاعر الغرب، والصين، والعرب خطاباً يُبرز الضعف الإنساني، أمام هذا الفيروس الخفي.
- الحجاج في قصيدة (الوباء الخفي) هو التواصل؛ بغية الإقناع.
- ارتبطت القصيدة بالعزلة الاجتماعيّة، وبالموت الجماعيّ، ومع فجاعة الجائحة، وآثارها الكونيّة، التزم الشاعر بالفصحى، والإيقاع العروضي المعهود.
- تنوّعت آليات الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في قصيدة (الوباء الخفي)، فوجدنا: آليات اجتماعيّة ونفسية، وآليات لغويّة، وآليات بلاغيّة، وأخرى منطقيّة.
- تمثّلت الآليات الاجتماعيّة والنفسية في شخصية الدكتور عبدالباري الأنصاري، ودافعه لنظم هذه القصيدة.
- التأثير اللغوي يبرز عبّر الصيغ اللغويّة المتعددة، ومن أهمها: أفعال الكلام التي تؤدي وظيفة الإقناع عبّر قوتها الإنجازيّة، إلى جانب التكرار، والازدواج، والروابط الحجاجيّة...
- تتوالى التأكيدات المعنويّة -في القصيدة- عن طريق التكرار بصورة منتظمة؛ هدفها إقناع المتلقين؛ بما للتكرار من آلية في نتاج المعنى، فالتكرار يساعد على إقناع المتلقين كافة، باختلاف مستوياتهم الفكرية، والعقليّة.

• الازدواج في القصيدة أدى وظائف حجاجية؛ بغية الإقناع تمثلت في الوظيفية التأثيرية وهي التذكر، والتأكيد الضمني بما فيه من تكرار معنوي، إلى جانب الطاقة الإيقاعية المتولدة من الانسجام اللفظي، والجمالي. وهذا كله يؤدي إلى سهولة الحفظ، وتثبيت الفكرة؛ وصولاً إلى استمالة المتلقين، وإقناعهم.

• الروابط ذات البعد الحجاجي - في القصيدة - (الواو، الفاء) أدت دوراً حجاجياً مهماً، وربطت بين الحجج، لموضوع واحد، كما أسهمت هذه الروابط في إبراز المعنى، وزيادة وضوحه، إلى جانب دورها في التنظيم، والإثبات حسب معناها، والربط بين الطرح، وحجته.

• تعددت الآليات البلاغية التي تؤدي دور وسائل الإقناع، في القصيدة، منها: الاستعارة، والبدیع...

• معظم الأساليب البلاغية التي جاءت في القصيدة تتوفر فيها خاصية التحول؛ لأداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية، ولإفادة أبعاد تداولية، حركت المشاعر والعواطف، وجذبت الانتباه؛ إذ نقلت الفكرة المعنوية، إلى صورة حسية.

• تُعد الوسائل المنطقية من أهم الأدوات لعملية الإقناع، التي استعان بها الشاعر أثناء طرح خطابه؛ بغية إكسابه طاقة حجاجية.

• برزت شخصية الشاعر من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها؛ أنه شخصية مؤثرة قوية عقلائية، محبة للإنسانية حريصة على الرقي بها.

ختاماً: أوصي الباحثين بالاهتمام بدراسة الحجاج، وبخاصة قدرته على إبراز إبداع الشعراء وحسهم الإنساني في قصائد الشعر المعاصر؛ إذ إنه يؤدي دوراً في فك طلاسم العمل الأدبي، من خلال وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده).

لعلي بهذا العرض أكون قد بلغت الغاية، والهدف، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلّى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع البحث:

- أوكان، ع. (2001) اللغة والخطاب، ط1 المغرب: أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.
- الحباشة، (2008) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1 دمشق-سوريا: صفحات للدراسات والنشر.
- الدريدي، س. (2011) الحجاج في الشعر العربي "بنيتة وأساليبه"، ط2 أريد-الأردن: عالم الكتب الحديث.
- الدهان، س. (1986) المديح، القاهرة: دار المعارف.

- الشهري، ع. (2004) إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ط1 لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صحراوي، م. (2005) التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية"، ط1 بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الصراف، ع. (2012) الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، القاهرة-مصر: مكتبة الآداب.
- صمود، ح. (د.ت) الحجاج عند أرسطو أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.
- عبد الرحمن، ط. (1998) اللسان والميزان، ط1 الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- العزاوي، أ. (2006) اللغة والحجاج، ط1 الدار البيضاء-المغرب، الكويت: العمدة في الطبع.
- عشير، ع. (2006) عندما نتواصل نغير؛ مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، الدار البيضاء-المغرب: أفريقيا الشرق.
- القيرواني، أ. (1981) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، لبنان: دار الجيل.
- مانغونو، د. (2008)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تحقيق، وترجمة محمد يحياتن، لبنان: الدار العربية للعلوم.
- لوبون، ج. (د.ت) روح الاجتماع، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مصر: المطبعة الرحمانية.
- وهبة، م. (1979) المعجم الفلسفي، مصر: دار الثقافة الجديدة.